وفي المقدمة ، جاء مطلع القصيدة ليقدم صورة بانورامية من على افق فلسطين كلها ، يوم « الثلاثاء الحمراء » ، حيث كان التكبير من على المآذن ، وقرع النواقيس في الكنائس تتجاوب اصداؤهما في ارجاء البلاد قاطبة مع بداية كل ساعة من الساعات الثلاث التي تقرر عندها اعدام واحد من الابطال . وفي هذه الصورة فاضت عاطفة الشاعر الصادقة في عفوية وعمق احساس ، فلونت الصورة كما السماء بغيومها المدلهمة ، وكما الليل والنهار وقد اعتراهما غمر من كدر الشاعر وعبوسه ، في ذلك اليوم الذي اختلطت فيه عواصف الغضب الانساني بمزيج من العواطف البشرية الناقمة والحزينة والباسلة في آن واحد ؛ اذ الموت يطيف طائره حول سجن عكا بتخطف ، على ادوار ، من كل قلب ، من هو اقرب الى ان يكون فلذة كبد صاحبه او فلذة كبد فلسطين ذاتها :

لما تعرض نجمك المنحوس ... وترنحت بعرى الحبال رؤوس
ناح الاذان واعول الناقوس ... فالليل اكدر ، والنهار عبوس
طفقت تثور عواصف ... وعواطف
والموت حينا طائف ... او خاطف
والمعول الايدي يمعن في الثرى ... ليردهم في قلبها المتحجر

ويوم الثلاثاء هذا ، كما انطوى ، مثلاً لشعب فلسطين ولشهدائها ، على عظمة التضحية ، ونبل الفداء ، تقديساً لفلسطين الغالية ، كذلك احتوى مثلاً لشعب بريطانيا وحكامها . على اعجب المصائب واغرب النوائب ، تمثيلاً للاستعمار ومظالمه ، ففاق فيهما من هذه الناحية ايام محاكم التفتيش في العصور الوسطى فلم يجد له بينها شبهاً في جوره . وكذلك فقد فاق في بشاعته وشناعة ظلمه ايام عهود النخاسة ، اذ مشى فيه الزمان القهقرى ،

فسمعت من منع الرقيق وبيعه ... نادى على الاحرار يا من يشتري

وهكذا يمضي الشاعر فيوازن بين ثلاثائه الحمراء وبين يوم جمال السفاح في « عاليه » حيث كان قد شنق فيه بعض احرار العرب وعلى لسانه يقول مخاطباً يوم الثلاثاء :

وشهدت للسفاح ما ... ابكى دما
ويل له ما اظلما ... لكنما ....
لم الق مثلك طالعاً في روعة ... فاذهب لعلك انت يوم المحشر

وهكذا يصل بهذا اليوم الى ان يكون فريداً بين الايام المشهورة ببشاعتها وبظلم احكامها ، فهذا :

« اليوم » تنكره الليالي الغابرة ... وتظل ترمقه بعين حائرة

ويمضي بعد ذلك يتخذ من مهابة هذا اليوم وروعة الفداء فيه ، نموذجاً للوطنية والتضحية يشحن بهما روح الشعب ، ويمنح رصيده من القوة والامل ما يملأ نفس المرء اباء وعنف مقاومة واحتمال .

وطن يسير الى الفناء ... بلا رجاء
والداء ليس له دواء ... الا الإباء